منوعات

MEDIA

دعوى خاسرة

لندن ـ **العربي الجديد**

خسر صحافي جزائري في «بي بي سي» دعوى اتهم فيها رؤساءه بالتمييز العنصري، كما اتهم زملاءه بعد وصفه بـ«البدوي»، بحسب ما نقلت صحيفة «ديلي مايل» البريطانية. وأوضحت أن الصحافي رفع دعوى ضد «بي بي سي» بتهمة التمييز العنصري، بعدما جرى تأديبه لكونه «صاخباً للغاية». وأوردت أن أحمد روابة، وهو في الخمسينيات من عمره، ومن أصل جزائري، قد اتُّهم بـ«إزعاج» زملائه بسبب التحدّث «بعنف» خلال اجتماع في يوليو/تموز 2019، عندما طُلب منه مخاطبة زملائه باللغة العربية الفصحى بدلاً من اللهجة الجزائرية.

وبعد تقديم الشكاوى، بدأ كبار المسؤولين في قسم الخدمة العالمية في «بي بي سي» تحقيقاً داخلياً رسمياً قال خلاله أحد العاملين إن على روابة أن يعبّر عن نفسه بطريقة أكثر «اعتدالاً». واشتكى روابة من أن التعليقات المتعلقة بثقافته وعرقه كانت «غير مقبولة». وقبلت «بي بي سي» الشكوى، لكنها قرّرت في النهاية أن التعليقات لم تكن «ضارة أو خبيثة». وذكر عاملون في المؤسسة أن روابة، الذي يُرجَّح أنه لا يزال يعمل في هيئة الإذاعة البريطانية، غالباً ما كان «غاضباً» في الاجتماعات.

وبعد تلقيه تحذيراً كتابياً نهائياً، قرر روابة مقاضاة الهيئة بتهمة التمييز العنصري والمضايقات، بدعوى أنها كانت ذروة «حملة الإيذاء المنهجية» التي استمرت ست سنوات ضده.

هجرة الصحافيين الفلسطينيين من فيسبوك إلى تيليغرام

منذ أكثر من 5 سنوات يتعرض الصحافيون والناشطون الفلسطينيون لرقابة مشددة من قبل موقع فيسبوك الذي يحذف المنشورات ويعطل حساباتهم بشكل متواصل، ما أدى إلى انتقالهم إلى تطبيق تيليغرام

غزة ـ **يوسف أبو وطفة**

يواجه الصحافيون الفلسطينيون صعوبة واضحة في نقل الأحداث الميدانية عبر مواقع التواصل الاجتماعي عموماً وعبر موقع فيسبوك الذي يعد الأوسع انتشاراً في صفوف الفلسطينيين، على وجه الخصوص، بفعل الإجراءات التي تتخذ ضدهم تحت ذريعة مخالفة المعايير. وخلال السنوات الأخيرة، حُذفت مئات الحسابات والصفحات التي كان يديرها صحافيون وناشطون شباب على خلفية تغطية الأحداث والتطورات في فلسطين، بالرغم من أن منشوراتهم كانت خبرية لتوثيق ما يحصل خلال جولات التصعيد الإسرائيلي أو العمليات في الضفة الغربية والداخل المحتل. وسعى الصحافيون للتغلب على هذه الإجراءات عبر محاولة التحايل على الخوارزمية التي تلاحق المنشورات المتضمّنة بعض الكلمات المحظور استخدامها من خلال دمج الحروف العربية بالإنكليزية أو تقطيع الكلمات أو وضع نقاط وحذفها. ورغم هذه الإجراءات إلا أن فيسبوك واصل حذف الحسابات والمنشورات وتعطيلها كلياً ومنع بعضاً من أصحابها من إعادة فتح حسابات جديدة بأسمائهم المعروفة لدى متابعيهم، حيث يعمل على حذف حساباتهم فور محاولتهم إنشاء صفحة جديدة. وانعكست هذه الإجراءات بالسلب على التغطية الصحافية، بالذات للصحافيين الذين يعتمدون على نقل المعلومات إلى متابعيهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي، إذ لجأ البعض منهم إلى تطبيقات بديلة مثل تطبيق التراسل الفوري تيليغرام أو موقع تويتر. ورغم استخدام البدائل من قبل الصحافيين والناشطين والإعلاميين إلا أن حساباتهم لم تسلم في هذه التطبيقات من التعرض للمخالفات والحجب في بعض الأحيان، وإن كانت بدرجة أقل مما عليه الحال في موقع فيسبوك وتطبيق واتساب.

الصحافي حسن أصليح يعتبر أحد الذين تعرضت حساباتهم للحذف بين 18 إلى 20 مرة. ويقول أصليح لـ«العربي الجديد» إن فيسبوك يحرمه من إنشاء حساب شخصي خاص به منذ 5 سنوات تقريباً بعدما قام بحذف كل الحسابات والصفحات التي أنشأها لتغطية ونقل الأحداث في فلسطين عموماً وقطاع غزة على وجه الخصوص، وهو ما دفعه للانتقال إلى استخدام تطبيقات بديلة مثل تيليغرام. ويرى أن هذه الإجراءات التي تقوم بها مواقع التواصل الاجتماعي تشكل تحدياً حقيقاً بالنسبة للصحافي الفلسطيني نتيجة لصعوبة إيصال الرسالة والتغطية الإعلامية للعالم الخارجي. ويضع فيسبوك قائمة طويلة من أسماء الشخصيات والتنظيمات الفلسطينية المقاومة على قائمة المحظورات التي قد تعرض منشورك وحسابك للحذف في حال استخدامها. ومن بين هذه الكلمات: «حركة حماس»، و«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، و«سرايا القدس»، و«الجهاد الإسلامي»، و«كتائب القسام»، وإسماعيل هنية، وزياد النخالة، إلى جانب مروان البرغوثي، وزكريا الزبيدي، وشخصيات فلسطينية أخرى. من جانبه، يقول الصحافي هاني الشاعر إن القيود وحظر المصطلحات والكلمات انعكسا على حرية النشر على مواقع التواصل الاجتماعي، وهو ما انعكس بدروه سلبياً عليه وعلى تغطيته للأحداث. ويضيف الشاعر لـ«العربي الجديد» أن الأمر لا يقتصر فقط على استخدام المصطلحات بل طاولت الملاحقة بالحذف أو التعطيل استخدام الصور لذات الفصائل والأذرع العسكرية التي يضعها فيسبوك على قائمة الحظر ضمن خوارزميته. ويقدر الصحافي الفلسطيني عدد الحسابات التي أغلقت له عبر فيسبوك بـ 10 حسابات، ومن بينها حسابات مر عليها 5 سنوات، وحصلت أولى عمليات الحذف عام 2018.

> يرتبط حصار المحتوى الفلسطيني بالتطورات الميدانية

ولم تقتصر الانتهاكات التي تعرض لها الشاعر من قبل مواقع التواصل الاجتماعي على التعطيل، بل تلجأ هذه المواقع إلى وقف النشر لفترات أو منعه من خاصية البث المباشر أو الإعلانات الخاصة بترويج الحسابات إلى جانب إجراءات أخرى متنوعة. ولجأ الصحافي الفلسطيني لاستخدام تطبيق تيليغرام كبديل وحيد على اعتبار أنه لا يقوم بمخالفة المنشورات الفلسطينية أو حذفها أو ملاحقتها مقارنة ببقية التطبيقات التي تفرض قيوداً على عمليات النشر والصور والفيديو.

في موازاة ذلك، يقول مدير مركز صدى سوشال المختص في رصد الانتهاكات الرقمية إياد الرفاعي لـ «العربي الجديد» إن سياسات فيسبوك لم تتغير رغم كل المخاطبات والمطالبات بشأن المحتوى الفلسطيني خلال السنوات الأخيرة. ويضيف الرفاعي أن إجمالي الانتهاكات الرقمية التي رصدت خلال شهر مايو/ أيار من قبل مواقع التواصل الاجتماعي كانت 130 انتهاكاً كانت غالبيتهم من قبل فيسبوك، فيما بلغ إجمالي الانتهاكات خلال 2021 1500 انتهاك. ويربط مدير مركز صدى سوشال بين تزايد الانتهاكات التي تتم بحق المحتوى الرقمي الفلسطيني وتصاعد الأحداث الميدانية، كما جرى خلال شهر رمضان الماضي والذي تزامن مع سلسلة عمليات في الداخل المحتل ومسيرة الأعلام واقتحامات الأقصى.

صحافيون فلسطينيون في وقفة احتجاجية ضد سياسة فيسبوك (حازم بدر/ فرانس برس)

«مايكروسوفت» تحيل «إنترنت إكسبلورر» إلى التقاعد

بعد سنواتٍ من تراجعه الحاد أمام المنافسين الأحدث مثل «غوغل كروم» و«سفاري»، أحيل المتصفح الشهير «إنترنت إكسبلورر» إلى التقاعد أخيراً. فيوم أمس، الأربعاء، أوقفت شركة مايكروسوفت دعم المتصفح الذي هيمن على الساحة لوقت طويل، والذي ما زال بعض المستخدمين يدّعون حتّى الآن أنّه متصفحهم المفضل. ينضم التطبيق الذي انطلق قبل 27 عاماً إلى هواتف بلاك بيري وجهاز بالم بيلو ومشغلات أسطوانات دي في دي وغيرها في سلّة مهملات تاريخ التكنولوجيا. لم يكن تعليق «إنترنت إكسبلورر» مفاجأة، إذ كانت «مايكروسوفت» قد أعلنت قبل عام أنّها ستعلّق العمل به في 15 يونيو/ حزيران من العام 2022، ما دفع المستخدمين إلى استعمال متصفّح مايكروسوفت إيدج الذي أطلق لأوّل مرّة في عام 2015. سبق للشركة أن أعلنت أنّ الوقت قد حان للمضي قدماً من دون «إكسبلورر»، وهو ما عبّر عنه مدير برنامج مايكروسوفت إيدج شون ليندرساي في منشور كتبه في مايو/ أيّار من العام 2021: "مايكروسوفت إيدج ليس فقط تجربة تصفّح أسرع وأكثر أماناً وحداثة من إنترنت إكسبلورر، ولكنّه قادر أيضاً على معالجة أحد الشواغل الرئيسية، وهو: التوافق مع المواقع والتطبيقات القديمة». وعلى الرغم من أنّ الدعم الفنّي لـ«إكسبلورر» توقّف أمس ، إلّا أنّ الشركة التي تتّخذ من سياتل مقراً لها، كانت قد وعدت بأن يصلح «إيدج» على الأقل حتى عام 2029 لتصفح المواقع المصممة لـ«إنترنت إكسبلورر»، إذ إنّ هناك العديد من الجهات «لديها عدد كبير من المواقع الإلكترونية» على أساس التكنولوجيا القديمة. وأوضحت «مايكروسوفت» أنّ «الشركات تمتلك في المتوسط 1678 تطبيقاً قديماً». وفيما وصف مستخدمون «إنترنت إكسبلورر» بأنّه مليء بالأخطاء وغير آمن، ما زال المتصفّح يشكّل مصدر حنين لآخرين يستعيدون ذكرياتهم مع التطبيق في تسعينيات القرن الماضي.

انطلق المتصفح قبل 17 عاما (Getty)

> أعلنت الشركة أنّ الوقت قد حان للمضي قدماً من دون إكسبلورر

أصدرت «مايكروسوفت» النسخة الأولى من «إنترنت إكسبلورر» في العام 1995، ليتمكّن سريعاً من أخذ الصدارة من متصفح نتسكايب نافيغيتور، والذي كان المتصفح الأكثر انتشاراً في الزمن السابق لشيوع استخدام الإنترنت. لتحقيق ذلك عملت «مايكروسوفت» على ربط «إنترنت إكسبلورر» بشكلٍ دائم بنظام التشغيل «ويندوز»، ما دفع العديد من مستخدمي «ويندوز» لاستخدام المتصفّح بشكلٍ تلقائي. نتيجةً لذلك، رفعت وزارة العدل الأميركية دعوى قضائيّة ضدّ «مايكروسوفت» في العام 1997، قائلة إنّها انتهكت مرسوم موافقة سابقاً من خلال مطالبة صانعي الحواسيب باستخدام متصفح إنترنت إكسبلورر كشرط لاستخدام نظام ويندوز.

في النهاية، تمكّنت الوزارة في العام 2002 من الوصول إلى تسوية مع الشركة في المعركة من أجل مكافحة الاحتكار الذي سمح لـ«مايكروسوفت» بسحق المنافسين. وتلاقت الوزارة الأميركية مع واضعي القوانين الأوروبيين، الذين اعتبروا ربط «إكسبلورر» بـ«ويندوز» منحه أفضلية غير عادلة على المنافسين الآخرين، مثل «موزيلا فايرفوكس» و«غوغل كروم» و«أوبرا». ومع مرور الوقت، راح المستخدمون يشتكون من أنّ «إنترنت إكسبلورر» بطيء وعرضة للانهيار والاختراق. في وقتنا الحالي، تشير إحصاءات شركة ستيت كاونتر لتحليل بيانات الإنترنت إلى أن المتصفّح المهيمن هو «كروم» من «غوغل»، والذي يستحوذ على ما يقرب من 65 بالمائة من سوق المتصفحات في جميع أنحاء العالم، يليه «سفاري» من «أبل» بنسبة 19 بالمائة، وهو متوافر على أجهزة الكمبيوتر والأجهزة الأخرى التي تنتجها الشركة. أمّا في المركز الثالث فيأتي وريث «إكسبلورر»، أي «مايكروسوفت إيدج»، بنسبة 4%، بفارق طفيف عن متصفّح «فاير فوكس» من «مُوتزيلا فاوندیشن» الذي يحتل المركز الرابع.

(أسوشييتد برس)

فيلم

يستلهم الجزائري صلاح إسعاد فيلمه الجديد من تجربة واقعية، عاشتها سولا بحري فشاركت في كتابتها السينمائية، وأدّت الدور الرئيسي في الفيلم

«سولا» لصلاح إسعاد

فضح واقعٍ ذكوريّ بلغة سينمائية باهرة

فيس قاسم

يُعيد المخرج الجزائري صلاح إسعاد (1989) كتابة جانب من قصّة، عاشتها بطلة فيلمه «سولا» (2021)، بتصرّف، مُضيفاً إليها قصصاً جانبية مُتخيّلة. ينقل التجربة الشخصية المحدودة من واقعيتها إلى ضفة المتخيّل، القابل للتأويل والتوسّع. مُشاركة الممثلة سولا بحري في الكتابة (السيناريو) تُحرّس التفاصيل الدقيقة للتجربة، وتُبقي طعم مرارتها، الطعم الذي سيلازم مسار مُنجز سينمائي، يفضح واقعاً ذكورياً رجعياً، ما إنْ يواجه سؤال المرأة، حتّى يفقد رشده، وينسى حداثويّته الهشّة.

«سولا»، الفائز بجائزة أفضل فيلم روائي طويل، في الدورة الـ12 (4 ـ 9 مايو/ أيار 2022) لـ«مهرجان مالمو للسينما العربية» (السويد)، ينشغل ببحث فكرة التصالح الذكوري الداخلي مع محيطه الرجعي، المُكرّس تاريخياً، والمُعلن عن وجوده في كلّ لحظةٍ يواجه فيها الجزائري سؤال المرأة وحريتها. لأنّه، حينها فقط، يُظهر وجهه الحقيقي، المتوافق مع واقعٍ هيمنة ذكورية، رشده، وينسى حداثويّته الهشّة.

يجعل إسعاد من السيارة مكاناً تجري فيه أكثر الأحداث التي عاشتها سولا، في 14 ساعة، في يوم مُشحون بالتوتر والخسائر الموجعة. للسيارات وسلوكيات أصحابها دلالات، تُغني الفكرة الأساسية التي يشتغل عليها النصّ السينمائي، ويُلزم نفسه بتحقيق كلّ أبعادها بصرياً. في الاختيار المكاني تحدٍّ فني، قلّة من الأفلام العربية تلجأ إليه. الفيلم، في أمكنة ضيقة ومُغلقة، يحتاج إلى كاميرا ماهرة، وأداء تمثيلي بارع، يُعبّر جسدياً عن الانفعالات الحاصلة فيه، رغم قلّة المتوفّر من المساحة المساعدة على التعبير الحركي. يعتمد مخرجو الأفلام المحصورة معظم أحداثها في أمكنة مغلقة، غالباً، على القوّة التعبيرية الكامنة في وجوه ممثليهم، وسولا بحري لا تكفّ عن منح النصّ، الذي تعرف أسراره جيداً، المزيد من تلك القوّة المطلوبة لإيصال حالة امرأة تتعرّض للاغتصاب في السيارات، ويُنتهَك جسدها في إطار مساحة محدودة، على الكاميرا (تصوير آرثر فونجي) الاقتراب كثيراً من تفاصيلها، لتُخبر الخارج عما يجري فيها، بلغة لا بُدّ أنْ تكون مُعبّرة وقوية طول الوقت. زمنياً، تمرّ الساعات في مراحل وقتية مُختلفة (من الغسق إلى الفجر)، تشترط كلّها المحافظة على مستوى جيد

ينشغل ببحثٍ فكرة التصالح الذكوري الداخلي مع محيطه الرجعي

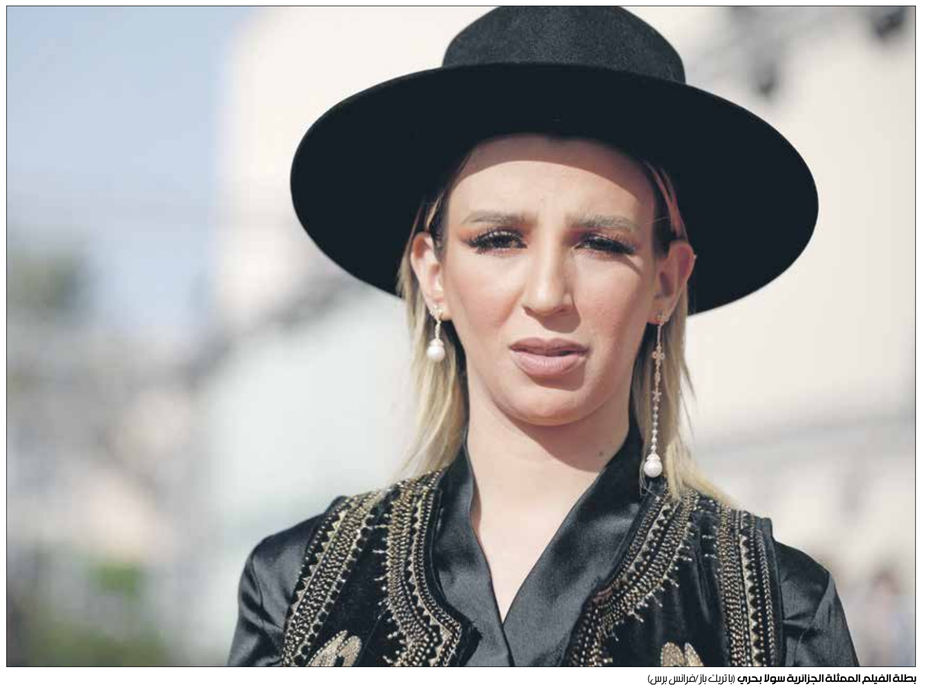

بطلة الفيلم الممثلة الجزائرية سولا بحري (آلريك بازار/فرانس برس)

نقد إيجابي

نهاية العام الماضي، اختير فيلم «سولا» من ضمن الأفلام السبعة المشاركة في سوق البحر الأحمر الذي ينظم على هامش الدورة الافتتاحية من مهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي في مدينة جدة السعودية. ولاقى عرض الفيلم وقتها مراجعات نقدية إيجابية الى حد كبير في وسائل الإعلام العربية. ويهدف سوق البحر الأحمر الى تعزيز التبادل المعرفي، وتحفيز الانتاج المشترك، إضافة الى دعم التوزيع الدولي للأفلام المشاركة.

قضية

هل يتحول تويتر إلى مساحة خالية من الصوابية السياسيّة؟

باريس ـ عمّار فراس

لا يخفى على أحد، أن شراء إيلون ماسك لـ تويتر، أشعل جدلاً عالمياً بسبب ما وعد به الرجل، وبسبب تغريداته الساخرة، إذ يرى أن قواعد الاستخدام التي يفرضها موقع التواصل الشهير، تقيّد حرية التعبير. ووصلت حملات المقاطعة الناتجة عن «جرح المشاعر» حداً لا يمكن السكوت عنه، إذ وعد ماسك بإعادة ترامب إلى تويتر، وبأمور أخرى نالت منها موجات الصوابية السياسية، التي صادرت حق كثيرين بالتعبير، وجعلت من تعريف خطاب الكراهية أشد غموضاً. في ذات السياق السابق، غرّد أحد أشد منتقدي الصوابية السياسية، أستاذ علم النفس الكندي جوردن بيترسن، ساخراً من عارضة الأزياء، يومي نو، قائلاً: «آسف، ليست جميلة، ولا يوجد قدر كاف من التسامح السلطوي لتغيير ذلك»، في إشارة إلى أن عارضة الأزياء التي تصدرت صورتها مجلة Sports Illustrated في العدد الخاص بملابس السباحة، لا تخضع لمعايير الجمال الذكورية التقليدية. وهنا، نجد أنفسنا في معضلة: ما هي الصفة التي يمكن أن نستخدمها لوصف جسدها من دون أن نشير إلى وزنها؟ لا نعلم. لكن مجلة «غلامور» تشير إلى استخدام لفظ Plus-size. بعض المواقع العربية، المهتمة بالجندر، تستخدم لفظ «الوزن الزائد». لكن، لنختم حكاية التغريدة، لا بد أن نذكر اتهام بيترسون من قبل ألف المغردين بأنه «يعيّر» العارضة ويهينها بجسدها.

لم يُغلق حساب بيترسون، ولم يغادر هو المنصة، بالرغم من أنه صرح بذلك بعد التغريدة، وعلى الرغم من أن عارضة الأزياء نشرت فيديو على «تيك توك» تقول فيها إنها انتصرت، وهو خسر، ظناً منها أن بيترسن غادر تويتر، إلا أنه ما زال موجوداً. واللافت أن الخبر الذي يشير إلى «انتصارها»، استخدم الحجة التالية: «65 ألف مشاهدة، أكثر من 100 ألف إعجاب»، في إشارة إلى فيديو «تيك توك» لكن هذا لا علاقة له بالتغريدة ولا برأي بيترسن.

بطبيعة الحال، لا نحاول الانتصار لطرف على حساب آخر. لكن ما نحاول قوله، إن وسائل التواصل الاجتماعي، ليست مساحات لاختبار حرية الرأي بشكلها الراديكالي، بل فشلت فشلاً ذريعاً في ادعائها. لا نتحدث هنا عن خطاب الكراهية أو التحريض على العنف، بل التحشيد العاطفي ضد الآراء، تلك التي لا يجوز مصادرتها، وحرمانها من المنصات التي تدّعي حرية التعبير، حتى لو كانت هذه الآراء شديدة السوء؛ فمفهوم الفضاء الآمن للتعبير، القائم على نفي من لا يتفق معنا بالرأي أو حتى «الذوق»، كما في حالة بيترسون، لا يعني أنه لا يستحق أن يُسمع. وربما هذا بالضبط ما يحاول ماسك أن ينتصر له، الإراء، حمقاء أو صائبة، صحيحة أو مخطئة سياسياً، لا تعني أن علينا تكميم أفواه أصحابها في حال لم تعجب فئة ما.

يرى إيلون ماسك أن القواعد التي تضعها المنصات تقيد الحرية

سخر جوردن بيترسن من يومي نو بسبب شكل جسمها (ديميتريوس كامبوريس / Getty)

اللافت أيضاً، وهنا يمكن توجيه التساؤلات إلى كلّ من بيترسن ونو على حد سواء، أن الموضوع يرتبط بـ«الجمال»، الشأن الذاتي، والذي نعلم بدقة تاريخ تصنيعه والمؤسسات التي تعمل على رسم معاييره. لكن لنفترض، ولو على سبيل الاستثناء، ألا يحق لأحدهم «ألا يعجبه شكل ما»، أو ألا يميل إلى المعيار الجديد، أو أن لا يجده جذاباً، من دون أن ينهم بالتحيز. والأهم، هل يمكن لهذا الشخص، ضمن المثال الاستثنائي، التعبير عن رأيه في هذا الخصوص؟ في ذات الوقت: هل الرد على الرأي المسيء أو الرأي الشخصي، أو الذي لا يتوافق مع المعايير الجديدة، يُقيّم بعدد المتابعين والمحبين؟

لا يوجد حوار في هذه الحالات، تكتلات وإقصاءات حد الاختفاء في بعض الأحيان. وهنا نعود لتويتر، إن كانت فعلاً هذه المنصة تسعى، ومالكها الجديد، إلى تحقيق حرية التعبير عن الرأي بصورة راديكالية، لا بد من إعادة النظر في كل أساليب تقييم الأشخاص الحالية، ناهيك عن الانتصار للكلمات؛ منع أو حذف أو التخويف من استخدام كلمات محددة شأن لا يسكت عنه، وإلا سنتحول كل منصات التواصل إلى مساحات زجاجية، شديدة الهشاشة، كلمة واحدة فقط، يمكن أن تدمر «فئة» أو «جماعة»، حتى لو كانت هذه الجماعة تتصدر أغلفة المجلات.

يحمل الألبوم عنوان «سحر» (جوردي فيدال / Getty)

موسيقى

تامينو يستعيد محرّم فؤاد

القاهرة ـ **ناهد خزام**

أعلن المغني البلجيكي الصاعد، تامينو (1996)، عن قرب إطلاق ألبومه الثاني «سَحَر»، المقرر طرحه مطلع الخريف المقبل، في جولة غنائية تشمل الولايات المتحدة الأميركية وكندا. اختار تامينو اسماً عربياً لألبومه الجديد، كما فعل في ألبومه الأول «أمير»، الصادر عام 2018. صُنّف هذا الأخير ضمن أفضل عشرة ألبومات في أوروبا في ذلك الوقت، وفقاً لاستطلاع أجرته صحيفة «ذا إندبندنت» البريطانية. لا يقتصر الطابع العربي، هنا، على اسم الألبوم فقط؛ إذ تتسم جميع أغنيات الألبوم الجديد هذه المرة بملمح شرقي، بفضل الاستعانة بفرقة من الموسيقيين العرب المقيمين في بروكسل، وهي فرقة أغلب أعضائها من المهاجرين واللاجئين، من سورية والعراق.

حمل صوت تامينو، وهو يصدح بأغانيه لأول مرة أمام الجمهور البلجيكي عام 2016، شيئاً ما عميقاً وشجياً؛ إذ اتسمت أغنياته بمزيج من الأسى والسحر، بفعل اعتماده على طبقات صوتية متعددة؛ طبقة عميقة كالنحيب، تليها أخرى خفيضة ووائقة. كما هناك مزج لافت بين الإيقاعات الشرقية والنغمات الإلكترونية.

من يعرف تامينو، سيدرك على الفور من أين أتى ذلك الأداء القوي والحماني في آن؛ فالمغني البلجيكي الصاعد الذي يقدم أغنياته باللغة الإنكليزية، هو حفيد المطرب المصري الراحل محرم فؤاد، الذي تألق عربياً في فترة الستينيات. هاجر والد تامينو، طارق محرم فؤاد، إلى بلجيكا في تسعينيات القرن الماضي، حيث نشأ المغني الشاب، وهو الاسم الذي اختارته له والدته البلجيكية. اكتشف تامينو، في وقت مبكر كما يقول، هذه الصلة التي تربطه بواحد من أبرز مطربي العالم العربي؛ إذ كان والده دائم الحديث عنه، كما كانت أغنياته تتردد في بيته وهو صغير، وما زالت تبهره بقوتها وكثافتها الموسيقية العالية. يقول تامينو إن اتجاهه إلى الغناء لم يكن قراراً واعياً، فقد حدث الأمر على نحو طبيعي، لكنه يتساءل أحياناً عن تأثير الجينات، وأثر هذه الأجواء التي نشأ في رحابها. يستمر المغني البلجيكي ـ المصري في استلهام روح الموسيقى الشرقية، والمزج في ما بينها وموسيقى الروك على وجه الخصوص، وهو ما ميز ألبومه الأول، «الأمير»، الذي لاقى استحساناً كبيراً من قبل الجمهور الأوروبي.

في ألبومه الجديد، يعتمد تامينو على نغمات الـ«عود»، التي تعلم العزف عليها أخيراً على يد أحد الموسيقيين السوريين. ويمثل العود أداة محورية في جميع الأغنيات التي سيقدمها في إصداره الجديد، كما كان له وقع السحر كذلك في اختيار كلمات الأغاني، كما يقول المغني الشاب. تامينو ـ كما يصرح دائماً ـ يحرص على الاستماع إلى أغاني جده، كما يحب سماع أغاني فريد الأطرش ووديع الصافي وأم كلثوم وفيروز. يقول المغني الشاب إنه منذ أن اكتشف أغنيات جده، شعر أنه يتواصل معه بالفعل، رغم أنه لا يتذكر شيئاً عنه، فقد رحل وهو طفل في الخامسة من عمره.

لا يفهم تامينو، وفقاً لتصريحاته، كلمات أغنيات محرم فؤاد، لكنه بطريقة ما استطاع أن يفهم موسيقاه ويحبها، ويستلهم من إيقاعاته. أما حرصه على تعلم العزف على آلة العود، فقد أقدم عليه بشكل غريزي، ما أضاف إلى موسيقاه بعداً روحياً، كما أن الإيقاعات العربية تنطوي على طابع حزين لكنه ساحر، وهو أكثر ما يجذبه إلى أغاني جده، على حد قوله.

يستلهم الموسيقى الشرقية ويمزج بينها وبين موسيقى الروك

من الإنارة، بتوافق مع وضوح الصورة، المُلتقَطة بعدسات كاميرات عُلّقت، فترات طويلة من زمن الفيلم، على جوانب السيارات ومقدّماتها، والتي بفضلها زادت جماليات الفيلم، وتدفّق حيويته.

منذ طرد والدها لها من البيت، بسبب إنجابها مولوداً من خارج المؤسّسة الزوجية، تواجه سولا آثام الأنوثة الشرقية، وتدفع ثمن حرية جسدها نكراناً مجتمعياً قاسياً، لوجودها مع مولودها «غير الشرعي». في عتمة ليل، تخرج إلى شوارع مدينة موحشة، تُتيح انتهاك جسدها، وتقابل فيها رجالاً لا يرون فيها أكثر من مومس، جسدها مُستباح لهم، ما دامت أباحته لرجل آخر قبلهم. من مكان إلى آخر، تذهب لتامين مكان، تؤوي فيه طفلتها. لكنّها، في كلّ مرة، تواجه بشراً يعاملونها ككائن منبوذ لا يستحق رحمة ولا تعاطفاً. بعد ترك طفلتها مع قريبة لها، على أمل العودة إليها بعد سويعات، يقضي هذا الوقت للمضي مع أمين (إيذير بن عيّوش) في رحلته من باتنة إلى عنابة، ليمضي فيها سهرة ليلية، معه، في السيارة، سفيان (فرانك إيفري)، شابّ عائد من فرنسا، بحنّ إلى بلده الذي تركه، ووجد نفسه يعيش، لحظة رجوعه إليه في زيارة قصيرة، اغتراباً.

المثلث البشري، المُشكّل في الرحلة، يمنح «سولا» طابع «فيلم طريق»، من دون تكريس كامل للنوع. يجمعهم معاً، يريد صلاح إسعاد كشف التناقضات الحادّة في بنية الشخصية الجزائرية، وإحالة سلوكها إلى مرجعياتها الثقافية والاجتماعية، الغارقة في اعتبارات قبلية، مُغطّاة بمظاهر عصرية، يجتهد إسعاد في تفسيرها وتحليلها، وفق نظرة نقدية، تتسرّب في ثنايا نصّ يعتمد كلّياً على لغة سينمائية منحازة إلى الجمال الكامن فيها، والمتخلّصة. رغم كثرة الحوارات الجارية في السيارة، من كلّ ثرثرة لا معنى لها. جملهم المرتبكة، والمشحونة بانفعالات خوف وقلق، لها دلالات خاصة بالمكان، وكلّ مقطع موسيقي يتسرّب عبرها، ويختلط بها، يكشف عن نوازع داخلية، وميول جنسانية مكبوتة، ويفضح ماضياً ملتبساً. الاشتغال على الموسيقى، تالياً (نيكولا مونتاني) أو اختيارات جاهزة، يمنح النصّ حيوية، من دون أنْ يُقلّل من قوة التعبير البصري، المجسّد بتمثيل بارع لأغلب الشخصيات الرئيسية والثانوية، والمُتكامل كلّه مع جهد إخراجي، يُراهن على قول الفكرة ونقل الحكاية بمشاهد سينمائية مُشبعة بإحالات رمزية، قابلة للتأويل، تتجلّى بوضوح في مشهد إيداع سولا ابنتها إلى البحر. تُخبرها بأنّ لا مكان لها هنا، ولا مستقبل. حادث السير الذي تعرّضت له السيارة، التي تقلّها مع الرجلين، يؤدّي إلى موتهما. خروجها حيّة، وشبه فاقدة وعيها، يضع نهاية لساعات، كان لا بُدّ لها من وضع حدّ لمسار حيوات مضطربة وهائمة على وجهها. من المكان الضيق (في السيارات) إلى الفضاء المنفتح (البحر)، ينتقل «سولا» في لحظاته الأخيرة، للقول إنّ هناك عالماً آخر في الضفة الأخرى من البحر، ينتظر طفلتها.

هل يريد «سولا»، بهذا المشهد، تذكير مُشاهديه برحلة خروج النبي موسى من مصر، ونجاته من بطش فرعون؟ ربما. فالمشهد الختامي قابل لتأويل مآلات حياة سولا، القابلة للتخيّل، بعد أنْ أضحت مُشرّدة في شوارع الجزائر، تعيش ما تبقى لها من حياةٍ على حافة الجنون.

بيئة

منحدرات غورونغوسا... كي لا نخسر الأشجار

في السنوات الأخيرة، شهدت منحدرات غورونغوسا، وسط موزمبيق، زراعة مكثفة لأشجار البن، ما أعاد إلى المنطقة اخضرارها الذي فقدته

يلاحظ الناظر من بعيد إلى الغابات الاستوائية الفريدة، التي تكسو منحدرات غورونغوسا في وسط موزمبيق، أن ثمة ثقوباً تخترق هذا الرداء الأخضر الذي يزيّن الجمال الآخّاذ لهذا الجبل، الواقع وسط محمية وطنية تحمل الاسم نفسه. فعمليات إزالة الأشجار أحدثت أضراراً كبيرة بمساحات تقدّر بعدة كيلومترات مربعة في هذه السفوح، التي تحولت إلى أراضٍ جافة لا تنمو فيها سوى الأعشاب والشجيرات المتقزّمة، مكان المساحات الحرجية البديعة.

إلا أن الغابة ولدت مجدداً في السنوات الأخيرة، بفضل زراعة البنّ التي لم تكن منتشرة عملياً من قبل في هذه القارة الأفريقية. في هذا السياق، يؤكد جولياس ساموبل سأباو، خلال جولته بين المزارع الواقعة على ارتفاع ألف متر فوق مستوى سطح البحر، أن تقدّماً كبيراً تحقق، وهو ما يُبيّنه التفاوت بين غابة كثيفة تصطف فيها نباتات البن، من جهة، ومنظر شبه صحراوي، في الجهة المقابلة. ويوضح جولياس، الذي يعمل في المتنزه، أن «نمو نبتة البنّ يحتاج إلى الظل». ويضيف: «لهذا السبب نزرع مع كل نبتة بنّ شجرة أخرى».

فقد تعلم جولياس زراعة البن في زيمبابوي المجاورة، عندما لجأ إليها اتقاءً للحرب الأهلية (1975-1992) التي أودت بحياة مليون شخص بعد استقلال موزمبيق عن البرتغال. يسهر جولياس منذ عشر سنوات على مزارع جبل غورونغوسا، الذي لم يكن الوصول إليه متاحاً طوال سنوات. فبعد عشرين عاماً من الحرب الأهلية، شهدت موزمبيق صراعاً جديداً بين المتمردين والحكومة استمر حتى عام 2019. وكان الموقع خلال هذه المرحلة معقلاً للمتمردين. وشكّل الجبل بالنسبة إليهم خزاناً للموارد الطبيعية. وعمد المقاتلون إلى إزالة مساحات من الغابات لزراعتها وتأمين الغذاء منها، ولا يزال بعضهم يعيش في الجبال. يتذكر جولياس أن «عناصر المليشيا جاؤوا لمقابلتنا، وأمرونا بوقف الزراعة». عشية المعارك الأخيرة، زرع مدير المتنزه، المهندس الزراعي بيدرو موفاغارا، أولى أشجار البن. ولدى عودته، كانت النباتات قد نمت بكثافة وسط لامبالاة السكان، ومعظمهم من عناصر المليشيات وعائلاتهم. ويلاحظ موفاغارا أن «هؤلاء الناس يعتمدون على زرع ما يوفر لهم الاكتفاء الذاتي، لأنهم لا يستطيعون تحمّل تكلفة الآلات مثل الجرارات، ما يؤدي إلى نشوء نوع من الترحال الزراعي».

ويوضح أن هؤلاء «يزيلون الغابات في مناطق عدة، ما يحرم التربة مغذياتها، لتصبح الأرض فقيرة، فيزيلون بالتالي غابة أخرى». وشدد على أنهم «يفقدون شيئاً من مقوّمات العيش عندما يخسرون شجرة».

وسعياً لإشراك سكان الجبل وإشعارهم بأنهم معنيون، يمزج المشروع زراعة البن، التي يستغرق ظهور محاصيلها الأولى سنوات، مع عدد من الزراعات الغذائية الأساسية. ويشير البنك الدولي إلى أن نحو 300 ألف شجرة بن، و400 ألف شجرة كاجو زرعت، ما وفر 300 فرصة عمل، وعاد بالفائدة على 200 ألف من سكان المنطقة. وباتت قهوة غورونغوسا التي يخصص ريع مبيعاتها بالكامل للمشروع الذي يدعمه المليونير الأميركي غريغ كار، تُصدّر إلى مختلف أنحاء العالم. يعمل نحو 70 في المئة من سكان موزمبيق في القطاع الزراعي، وفقاً لوكالة التنمية الأميركية، لكن النسبة المستخدمة فعلياً من الأراضي الصالحة للزراعة تقتصر على 16 في المئة.

يمزج المشروع زراعة البن مع عدد من الزراعات الغذائية الأساسية (الفريدو زونيغا/ فرانس برس)

(فرانس برس)